البيئة الاجتماعية في منطقة الاهوار

الدكتور عبد الواحد مشعل
كلية الاداب - جامعة بغداد
قسم الاجتماع

المقدمة:

تستدعي منطقة الاهوار دراسات اجتماعية وانثروبولوجية معمقة بهدف تقديم مادة وصفية عن احد المجتمعات المحلية العراقية مع التركيز على البيئة الاجتماعية والثقافية وعلاقاتهما بالبيئة الطبيعية وتبرز اهمية ذلك في كونه يتفق مع هدف عام يسعى لزيادة المعرفة بطبيعة المجتمع العراقي الذي يتميز بتنوع مجتمعاته المحلية حيث يضم مجتمعات ريفية وحضرية تتوزع في بيئات متنوعة جبلية وصحراوية ومائية وتزداد اهمية ذلك اذا اخذنا بنظر الاعتبار ندرة الدراسات السابقة عن نمط الحياة الثقافية في منطقة الاهوار جنوبي العراق، كما ان ذلك لا يقف عند تقيم مادة وصفية عن التغيرات التي طرات على بيئة المجتمع الثقافية في منطقة الاهوار بل يستدعي تفسير وتحليل تلك البيانات والرجوع الى الادبيات التي تناولت مثل هذه الموضوعات لدى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا وصياغة الجانب النظري واختيار صحة الفروض التي توضع قبل بدء الدراسة وعليه فان مثل هذه الدراسة سوف لاتكتفي بالوصف والتحليل بل تسعى الى معالجة ما يفرزه التغير الاجتماعي من مشكلات متنوعة على حياة الانسان في هذه البيئة، وعليه فان هذه المحاولة تعد متواضعة لوصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذا المجتمع الذي يتطلب دراسة ميدانية تتوغل في رواسب حياته الثقافية ومعرفة ما طرأ من تغير اجتماعي لهذه البيئة الا ان هذا

لايمنع من القول: ان محاولتنا المتواضعة هذه سوف تقتصر على تقيم تصور عام عن الخصائص الاجتماعية الاقتصادية وعلاقتهما بالبيئة الطبيعية في ظل التغيرات السياسية والاقتصادية التي تتفاعل يوميا في العراق والعالم ومحاولة كهذه تمثل بداية مشروع.. دراسة منطقة الاهوار ميدانيا باستعمال منهجية الانثروبولوجيا المتجددة لوصف وتحليل وتفسير الواقع الاجتماعي والتوصل الى نتائج وتوصيات تكون بمثابه اليات عمل توضع امام الجهات ذات العلاقة للنهوض بهذه المنطقة الحيوية فضلا عن ذلك فان اهمية هذه المحاولة تزداد اذا علمنا ان منطقة الاهوار تقطنها تجمعات بشرية كبيرة كما تشكل مصدرا حيويا من الثروة النباتية والحيوانية كما انها تعتبر من المناطق السياحية المهمة التي تثير اهتمام الباحثين والسياح كونها ن المناطق التي تتميز بنظام اجتماعي وثقافي قائم على القرابه والعلاقات الداخلية وانعكاسه على الحياة الثقافية سواء كان ذلك مايتعلق بوضع المراة وادوارها او مكانه بعض الفئات الاجتماعية الموجوة في اسفل السلم الاجتماعي كالصابئة والعبيد كما كان في الماضي كما انه مجتمع قد اتصل بالمدينة وتفاعل معها ودخل التعليم الى مناطقه واقتنى الانسان فيه التكنولوجيا في عصر اصبح فيه الانعزل التام امرا غير مقبول في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية. ان الظروف التي مر با العراق قد خلقت من هذه البيئة الوعرة بيئة حاضنة لمعارضة النظام السياسي السابق وكانت تشكل مصدر قلق حتى سعى الى تجفيفها ومن هنا تبرز اهمية دراسة هذه البيئة دراسة انثروبولوجية وهندسية واقتصادية لكي يتم وضع الاجراءات اللازمة لاعادة الحياة الطبيعية اليها كما كانت عبر الاف السنين ويتكون هذا البحث من اربعة محاور تتناول الاول الخصائص البيئية والاقتصادية لمنطقة الاهوار وتطرق المحور الثاني الى البيئة الاجتماعية بين الامس واليوم ودرس المحور الثالث التجفيف الهنسي والتجفيف السياسي اما المحور الرابع فكان بمثابة محاولة استشراق المستقبل معتمدا على اهم النتائج التي توصل اليها البحث مع تقديم بعض المقترحات.

اولا: الخصائص البيئية والاقتصادية لمنطقة الاهوار:

الغرض الاساسي لهذا المحور تقديم صورة وصفية لمنطقة الاهوار في جنوب العراق والتركيز على الخصائص البيئية والطبيعية والسكانية وان

مثل هذه المحاولة تشكل خلفية هامة لمناقشة التغيرات التي طرات على البيئة الاجتماعية في منطقة الاهوار.

١- الخصائص البيئية والطبيعية لمنطقة الاهوار:

يقع اقليم الاهوار على خطي عرض ٣٠° و٣٠°، و٣٠°، و٣٢°شمال خط الاستواء بين خط ٤٦° و٤٨° شرقا ويخضع لمناخ شبه جاف او مايطلق عليه اقليم السهوب حسب المصطلح النباتي او هو يقع ضمن منطقة المناخ الجاف الصحراوي ومن ناحية درجات الحرارة فان فصلي الربيع والخريف يكونان قصيران لايتجاوز طولهما الشهرين وترتفع درجات الحرارة في الاقليم خلال شهر تموز اذ تتراوح مابين ٣٣°م الى ٤٤°وتختلف هذه الدرجات الحرارية من منطقة الى اخرى حسب القرب من المسطحات المائية اما ابرد شهور السنة فيه هو شهر كانون الثاني حيث يكون معدل الدرجات الصغرى في هذا الشهر بحدود ٦°م وتتوزع منطقة الاهوار بشكل اساسي في ثلاث محافظات جنوبي العراق هي البصرة والعمارة والناصرية وقليل من محافظة الديوانية فهي تتركز في منطقة مثلثة الشكل تقريبا وان مراكز مدن البصرة والعمارة والناصرية تمثل رؤوس المثلث الثلاث وتشكل اهوار هذه المحافظات اكثر من ٨٠% من المساحة الكلية التي تغطيها الاهوار في العراق[١] اما مساحتها التقديرية فهي تختلف من سنة لاخرى تبعا لمناسيب مياة الانهار والتي بدروها تعتمد على كميات الامطار والثلوج المتساقطة على منابعها واحواضها.[٢]

وتختلف هذه التقديرات بين باحث واخر فالدكتور احمد سوسه يقدر مساحة الاهوار في محافظات البصرة والعمارة والناصرية بربع مساحات هذه المحافظات والبالغة ٤٥,٥١٥ كيلومتر مربع[٣]، كما يقدرها (ولفر تسيكر) بـ٨٨٠٠ كيلو متر مربع[٤]، وتقسم الاهوار الى اهوار دائمة واخرى فصلية فالاهوار الدائمة هي تلك المناطق المنخفضة التي تستقر فيها المياه وتستمر طيلة ايام السنة وهي لاتشكل في موسم الفيضان سوى ١/٤ من مساحة الاهوار المؤقتة فهي التي تنبع من مناطق الاهوار العميقة الدائمة التي لاتستطيع استيعاب المياة الوفيرة القادمة من الانهار والروافد في فصل الفيضانات وهي تشكل حوالي ٣/٤ من مساحة اهوار جنوب العراق، اما امتدادات الاهوار فيمكن توزيعها في شكل المثلث السالف الذكر وتمتد

بموازاة وعلى جوانب نهري دجلة والفرات وفروعهما ويمكن تفصيل ذلك من خلال تقسيم الاهوار الى اربع مجاميع اساسية.(٩)

المجموعة الاولى:

هي تلك التي تقع بين مدينة العزيزية شمالا ومنطقة الاهواز جنوبا ويمكن تقسيمها الى مجموعتين فرعيتين الاولى تشمل الاهوار الجنوبية بين مدينة العزيزية والعمارة والتي تضم هور الشيخ والشويجة والساروط والحوشية وتعد اهوار مؤقتة تتغذى بالمياة من خلال التغيرات التي تحدث في ضفاف نهر دجلة اثناء موسم الفيضان ومن السيول التي تنحدر اليها من المرتفعات الايرانية في موسم الامطار اما المجموعة الفرعية الثانية وهي الاهم والتي تعتبر جزرها حيوية في الاقليم وتمتد من شمال مدينة العمارة الى منطقة الاهوار واهم اهوارها الحويزة الذي يعتبر من اهمها واكبرها.

المجموعة الثانية:

تقع غرب نهر دجلة وتمتد من بلدة الشيخ سع في محافظة العمارة الى مدينة القرنه في محافظة البصرة بمسافة تقدر بحوالي ٢٠٠ كيلومتر وبسعة تصل الى ٢٢٥ كيلومتر تقريبا وتشغل مساحة تقدر بـ٢٠٠٠ كيلو متر مربع في اعلى الفيضانات وتتغذى هذه الاهوار من فروع كثيرة تجلب المياة اليها من نهر دجلة وتشتهر الاهوار باسماء محلية مثل السعدية والذي يمتمد بين بلدتي علي الغربي وكميث والسينية ويمتد بين بلدة كميث ومدينة العمارة، وهناك عدة اهوار متقطعة منها بركة الدويجة وبركة البرهان واهوار صحيني.

المجموعة الثالثة:

الاهوار الواقعة بموازاة نهر الغراف وهي من النوع الفعلي ومن اهم هذه المجموعة ام البرم.

المجموعة الرابعة:

وهي الاهوار الواقعة على نهر الفرات وعلى رأسها هور الحمار واهوار اخرى مثل ابن نجيم وابن حجار والرماح وهور لفته وهي ثانوية في اهميتها واخذه بالتقلص اما هور الحمار فهو يمتد بين سوق الشيوخ غربا وكرمه علي شرقا.

اما التوزيع الجغرافي للاهوار على اساس الوحدات الادارية فيمكن القول انا تركز في فرعيها الدائمية والمؤقتة في العمارة وبالتحديد في المناطق الجنوبية الغربية من مدينة العمارة (المركز) وتشمل النواحي التي هي من اقضية العمارة وقلعة صالح والميميونه في حين ماتغطي في قضاء علي الغربي الى الشمال من مدينة العمارة محدودة جدا، وفي محافظة البصرة تمثل الاهوار بنوعيها نسبه كبيرة من الوحدات الادارية الواقعة الى الشمال من مدينة البصرة وبخاصة الوحدات المكونه لقضاء القرنه ومدينة الهارثه اما في الناصرية فانها تغطي نسبه كبيرة من نواحي قضائين فقط هي الشيوخ والجبايش[٦] اما التربة فهي ثرية غرينية شديدة الخصوبة وهي هشة مثقبة ولاتحتوي على املاح عالية.[٧]

طرق المواصلات:

توجد في منطقة الاهوار نوعين من طرق المواصلات:

أ- **الطرق البرية:** نظرا للتكاليف العالية للطرق البرية ومايتطلبه من عمل سدة ترتفع عن المياه عدة امتار فقد تاخر تصميم هذه الطرق الا انه يمكن القول ان هناك طريقان رئيسيان اولهما طريق بغداد البصرة عبر الاقليم والذي تتفرع منه طرق فرعية القرنه-المدينة مارا بقضاء الجبايش وطريق المجر الكبير وطريق العمارة والكحلاء وطريق الحلفاوية وطريق المجر الصغير وثانيهما طريق البصرة الناصرية عبر الاقليم يربط هذا الطريق البصرة ببغداد فيتجه بمحاذاة الاراضي جنوب هور الحمار نحو الشمال الغربي تدريجيا وهناك بعض الطرق الداخلية لهذا الاقليم ترتبط بهذا الطريق الرئيسي مثل طريق سوق الشيوخ عكيكة-الجبايش وطريق سوق الشيوخ –كرمة بن سعيد فضلا عن وجود خط واحد للسكك الحديدي يمر في جنوب الاقليم من الشرق الى الغرب بمحاذاه هور الحمار.[٨]

ب- الطرق المائية: فرضت البيئة المائية نوعا معينا من النقل المائي اذا اصبحت هذه الوسائل من الوسائل الدائمة والمعتادة داخل مياة الاقليم اذ تمكن الانسان من صنع الادوات الملائمة لهذه البيئة المائية سواء مايتعلق بالمناطق الضحلة بالمياه او المناطق ذات المجاري المائية الصغيرة واهم هذه الوسائل الزوارق الصغيرة والمشاحيف والزوارق الشراعية الكبيرة (الابلام) والزوارق التجارية لنقل الركاب بين ارجاء الاهوار.[٩]

٢- النشاط الاقتصادي في منطقة الاهوار:

أ- الزراعة: تغطي المياه الاراضي الصالحة للزراعة كافة في معظم مناطق الاهوار وبخاصة من شهر اذار الى اب الا في بعض السنوات حيث تكون الفيضانات منخفضة فتنحصر المياه عن الاراضي الزراعية في وقت مبكر أي في شهر تموز وتكون المحاصيل الشتوية متعددة في هذه المناطق والتي ابرزها الحنطة والشعير بسبب غرق اراضي هذه المناطق كافه في هذه المناطق لذا فان المحاصيل الزراعية هي غير متوفرة دائما الا في وقت الفيضانات الواطئة[١٠] وغالبا يقوم المزارعين من اهوار العراق بزراعة الشتلات الصيفية لان البذور قد تقتل بفعل برد الخريف لذا فانهم يحاولون جلب شتلات جاهزة للمناطق خارج الاهوار اذ تكون الزراعة الصيفية المبكرة فيها ممكنه لمنطقة المجرة وشتلات الرز والذرة التي يتراوح عمرها من٣٠-٤٥ يوما ويعودون زراعتها حين انحصار المياه في اراضيهم وطالما نجاح الزراعة يعتمد على انحصار المياه فان الزراعة ليست لغرض التصدير بل لسد الحاجة المحلية لذا فان بعض اهل هذه المناطق قد ترك الزراعة ولجأ الى نشاطات اقتصادية اخرى مثل جمع القصب وحياكة الحصر لان ربحها مضمون رغم متاعبها كما ان البعض الاخر اخذ بطريقة الهجرة الى مناطق العمارة والمجرة في مواسم الزراعة الصيفية للعمل كاجراء او لقاء شئ من محصول في اراضي الغير الا ان هذا النمط ليس واسع الانتشار[١١] ويمكن القول ان المحاصيل الوحيدة التي تزرع في الجبايش هي الارز (الشلب والذرة) اما مايتعلق بزراعة الخضر فهي غير مرغوب بها بين السكان وهي مهنة محتقرة لذا فهي

لاتزوال مطلقا ويجلب السكان مايحتاجونه منها من البصرة او مايزرعه اشخاص اخرين في مناطق مجاورة يطلق عليهم اسم حساوية[٢]، كما يزرع النخيل في هذه المناطق بكميات قليلة وان عدد النخيل في تناقص مستمر بسبب الفيضانات المتكررة.

ب- **القصب:** يمثل نمو القصب ابرز خصائص الاهوار فهي تغطي مساحات شاسعة من سطحه ويستخدم اهل الاهوار القصب في حاجتين الاولى علفا لماشيتهم وثانيا لحياكة الحصر كما يستعمل لاغراض اخرى فضلا لما تقدم ويدخل في بناء البيوت والمضايف واقامة السياج الحوض الذي يحيط بالجزيرة كما يستعمل في صناعة الاثاث والوازم البيتيه كما تصنع منه السوابيط[٣] كما انه يستخدم ايضا كوقود.

ج- **صيد الاسماك:** اغلب سكان الاهوار صيادي اسماك فهم يصيدونه اما للاكتفاء الذاتي او لغرض التجارة وقد كانت حرفه صيد الاسماك لغرض البيع محتقرة في الماضي بين السكان الا ان الوضع قد تغير كثيرا بتغير مفاهيم الحياة والاوضاع الاقتصادية فهذه المنطقة من المناطق الغنية جدا بالثروة السمكية.

د- **صيد الطيور:** يزهر موسم صيد الطيور في موسم الشتاء واوئل الربيع ففي هذه الفترة تكون الاهوار مسرح لانواع عديدة من الطيور المهاجرة التي تتوافد من مناطق نائية وباردة في اوربا واسيا اذ يعتبر صيد الطيور حرفة مهمة في حياة السكان ومعظم الصيد يستهلك محليا من قبل الصيادين انفسهم بنسبه قليلة منه فقط تباع لسكان الاقاليم الذين لايزاولون هذه الحرفة[٤] اما عن بعض الصناعات فبعض السكان يزاولون صناعة الحصر كما يزاولون كبس التمور وبخاصة في المناطق القريبة من البصرة.

ثانيا: البيئة الاجتماعية في منطقة الاهوار:

في هذا المحور يتم تسليط الضوء على طبيعة النظام الاجتماعي التقليدي في منطقة الاهوار ثم التطرق للتغيرات التي طرات على هذا النظام ومحاولة كهذه تساعدنا على فهم طبيعة التغيرات التي تطرا على النظام الاجتماعي في هذه المنطقة.

أ- يقوم هذا النظام على اساس النظام القبلي قوامه العشيرة والفخذ والحمولة والعائلة والاخيرة اصغر وحدة اجتماعية تعيش على جزر مستقلة يغطيها عادة الكوخ الوحيد الذي يعيش وينام فيه افراد العائلة كافه ويلحق هذا الكوخ في الغالب المضيف اما من حيث التنظيم السياسي فان اكبر العائلة سنا كالجد او الاب تنفذ اوامره وسلطته الى افراد العائلة كافة كما انه ينوب عن العائلة في الخصومات ودفع التعويضات العشائرية اذ تتصرف العائلة كوحدة اجتماعية متماسكة ويكون لهذا الرئيس مطلق الحرية بالتصرف باموال واملاك العائلة كما انه يقرر تزويج بناته الى أي رجل يراه مناسبا ويستولي على مهورهن وبما انه هو الذي يدفع مهر زوجة ولده فهو ايضا الذي يقرر زواجه ويبقى الابناء تحت سيطرة الاب دون ان يكون لهم الحق في جمع ثورة خاصة به، بل ان كل عمله وجهده ينصب في صالح العائلة ككل، كما لا تتغير مكانتهم او مراكزهم في العائلة بعد الزواج بل يبقون يؤدون ادوارهم السابقة وتحت سيطرة الاب وليس لهم سلطة الا على زوجاتهم اما واقع المراة فهو متردي وتحتل مكانه واطئة وهن محتقرات من قبل الرجال ويعتبرون مخلوقات ناقصات عقل وخير مثال على مركز المراة انها يمكن ان تزوج الى من يدفع اعلى مهر او تدفع كتعويض عن جريمة اقترفت من قبل رجل من عائلتها او فخذها بحق عائلة اخرى (فصلية) كذلك فليس لها راي مسموع سواء فيما يتعلق بامور العائلة ويعتقد السكان بان بناتهم يعطن مشورة فاسدة وعليه فهن قد يستشرن الا انه يجب عدم الاخذ بهذا الرأي اما النسب في هذه المناطق فهو النسب الابوي والمواريث فيها عرفية لاشرعية وعلى هذا الاساس فان الابن يرى اسرة والده هم اهله وحمولته وينظر الى اهل امه غرباء سيما اذا كانت امه من عائلة غريبة وليس من عائلة ابيه او فخذه كما يظهر تعدد الزوجات في هذه المناطق وهو مطمع كثير من الرجال كما ان هناك زوجة واحدة تكون متنفذة بين الزوجات ولاتشترط ان تكون الزوجة الاولى وربما تكون ابرع الزوجات او اجملهن.[١٤]

اما مايتعلق بالسلم الاجتماعي في منطقة الاهوار فانه يتدرج تبعا للقيم القبلية ومكانه القبائل فضلا عن النشاط الاقتصادي فيها لذا فان الشيوخ هم

الاعلى في السلم الاجتماعي في منطقة الاهوار ثم تليها السادة الذين يعتمدون اقتصاديا على الشيوخ فهم يتمتعون باعتبار اجتماعي رفيع ومكانه مقدسة في نفوس السكان لذا فهم يتمتعون بمستوى معيشي عال اذ كان الشيخ هو المسؤول عن ايصال الخمس[٦] للسادة وكان الشيخ لاسباب سياسية محضه ولحد ما وبدافع ديني كان كريما مع السادة لان مساندتهم له كانت ضرورية وتاييد السادة للشيخ تمتعه بمزيد من الشان في المجتمع كما ان النشاط الاقتصادي له الاثر الكبير في تحديد مكانه بعض الفئات في السلم الاجتماعي كما هو الحال مع (العبيد والصابئة) اذ كان العبيد مملوكين للشيخ وتعد طبقة العبيد من احط الطبقات في ذلك السلم باستثناء طبقة الصابئة وادناها منزلة وهم محتقرين لايتزوج اهل القرية منهم كافة ويتركز نشاطهم الاقتصادي في مهن الحدادة وبناء الزوارق وهم يحصلون على معيشتهم من مهنهم وتمنحهم مهاراتهم في تخصصهم مركزا في الكيان الاقتصادي لهذه المناطق الا ان هذا المركز محدود بسبب المحددات الاجتماعية.[١٢]

ب- طبيعة التغيرات التي طرات على النظام الاجتماعي في منطقة الاهوار:

للنظام القبلي منظومته الثقافية الموروثه اذ تعد العشيرة والفخذ والعائلة من المؤسسات التقليدية الفاعلة في منطقة الاهوار وقد تبدلت مراكز الشيوخ بعد قيام ثورة ١٤تموز ١٩٥٨في عموم المناطق الريفية وبقيت ادوار العشيرة والفخذ والعائلة تؤثر في الحياة الثقافية لعموم المجتمع الريفي العراقي ومنها منطقة الاهوار ذات البيئه المائية المميزة ولما كانت مظاهر التحديث في بادئ الامر قليلة التاثير ومحدودة لذا بقيت التراثية التي نشا عليها السكان هي التي تحدد وعي الانسان في هذه المناطق بقيت تعمل بنفس الاتجاهات التقليدية تقريبا وبدات عملية الاتصال بالمدينة ومن خلال اقتناء التكنولوجيا وادخال التعليم وبعض الحملات الارشادية والصحية الى هذه المناطق تخلق نوعا من التحول والتبدل في بعض اساليب الحياة وان معرفة مثل هذه التغيرات يتطلب القيام بتحليل وتفسير التركيب الاسري وعن طريق معرفة ادوار الاسرة سواء المراة او الرجل لاسيما وان هذا التركيب الاسري هو الذي يضع ادواراً للرجل والمراة عن طريق التنشئة الاجتماعية اذ نجد الثقافة السائدة في المجتمع لها صورة مصغرة داخل البناء الاسري وبهذا ياتي التماثل الثقافي في حياة الاسرة في مناطق الاهوار فضلا

عن تاثير هذا التماثل للبيئة المائية وطبيعة النشاط الاقتصادي للسكان لذا كان التعديل في النشاط الاقتصادي عاملا مهما في تغير القيم الاجتماعية ازاء ادوار المراة او الطفولة او اتجاه عملية التنشئة الاجتماعية وقد ادى ذلك الى بلورة وعي اجتماعي سيما وان عملية التحديث لتي اصابت المجتمع منذ عام ١٩٥٨ قد اثرت بشكل او باخر على هذه المناطق رغم انها قد اصابها الاهمال من قبل الحكومات المتعاقبة لهذا نشا نوع من التباعد مع تلك الحكومات وبقيت الحياة الداخلية في هذه المناطق تحمل الكثير من عوامل الانعزال وتعزز الاستقلالية الثقافية الا ان هذا الانعزال لايعني الانغلاق التام بل ان العوامل البيئية والاقتصادية والثقافية كانت محدودة لذا فان معرفة الواقع الاجتماعي في منطقة شبه منعزلة يتحدد من خلال طرح العديد من الاسئلة منها: هو دور التعليم النوعي والكمي للذكور والاناث؟وهل تمكنت الفتاة ان تنال حقها من التعليم؟وما مدى تفضيل ثقافة المجتمع انجاب الذكور على الاناث؟ وهل تغيرت ام لا ادوار المراة في المنزل والمجتمع؟ يضاف الى ذلك مدى استفادة السكان من الخدمات الحديثة سواء مايتعلق بالوسائل الاعلامية او الصحية وطرق المواصلات وفرص عمل خارج العمل التقليدي لنشاط المنطقة.

ورغم الظروف الصعبة التي يعيشها السكان في هذه المنطقة كونه يعيش شبه انعزال عن الحياة الثقافية بسبب المحددات الجغرافية الا ان الحياة الاجتماعية في منطقة الاهوار قد تغيرت سواء كان تغيرا تلقائيا او مخطط كما يكن ان نطلق على البيئة الاجتماعية في منطقة الاهوار بانها بيئه بدائية او بيئه بكر يتميز السلوك الانساني فيها بالبساطة ولايزال ابنائها يعيشون في مساكن بدائية مصنوعه من القصب والذي ينمو في بيئتهم بكثافه كما ان المياة تكون غير صالحة للشرب وتوجد فيا الكثير من الحشرات المؤذية كالبق والذباب والحرمز وكذلك وجو الافاعي والعقارب والذي يشكل تهدي لحياة الانسان ناهيك عن تلوث البيئة بالجراثيم ومسببات الامراض الناتجة عن المواد المتفسخة والتي تشكل بيئة جيدة لانتشارها فضلا عن افتقار هذه المناطق لطرق مواصلات سريعة قد يعرقل الكثير من الجهود لتقديم الخدمات اللازمة للسكان.[١٤]

ثالثا: التجفيف الهندسي والتجفيف السياسي:

يركز هذا المحور على اهمية التجفيف الهندسي المنظم الدقيق باصلاح الاراضي وتعمير المنطقة وفق هذه المصلحة كما حدث في مناطق متفرقة من العالم والفرق بينه والذي جرى من تجفيف في منطقة اهوار العراق لاغراض سياسية الحقت اضرار بالغة بحق الانسان والبيئة معا.

أ- **التجفيف الهندسي:** يكون التجفيف المستنقعات المائية من الناحية العلمية والهندسية فوائد حقيقية على السكان والبيئة معا وهي اجراءات قامت بها كثير من الدول من اجل اصلاح الاراضي واستعمالها الامثل لخدمة الانسان لذا فالتجفيف اذا كان مدروسا فهو من اجل تحسين اوضاع البشر والبيئة بمساحات محدودة اذ كانت بدايات التفكير لتحسين البيئة قد جاءت في تقرير السير بيرسي ولكوكس البريطاني الذي اقترح حفر مبزل رئيسي في جنوب العراق لسحب المياة الفائضة وغير المسيطر عليها الى مياه الخليج ثم جاءت الخطوة الحاسمة بانشاء السدود والخزانات المائية في اعالي دجلة والفرات وفي انشاء الخزانات على نهر الفرات في تركيا (كبيان) وسوريا سد الطبقة وفي العراق سد حديثة وتم على نهر دجلة انشاء سد الموصل ودابوش فضلا عن خزانات دوكان ودربندخان وبهذه الاجراءات اصبحت مسالة السيطرة على مياه الفيضانات ممكنه فضلا عن استعمال المياه للاغراض الزراعية في الوسط والجنوب وعليه اصبحت المياه الفائضة عن الحاجة اقل والتجفيف من الناحية الهندسية والعلمية عملية حضارية سليمة ومطلوبة فقد كانت عمليات استصلاح وتجفيف المستنقعات وبطرق علمية على مدى ٢٠٠عام اذ تم تحويل مساحات شاسعة من المستنقعات الى اراضي زراعية ومروج وحدائق ويكفي ان نعرف ان قصر فرساي في فرنسا كان مستنقعا اسنا وهكذا فان عملية التجفيف اذا احسن استخدامها يكون لها فوائد ايجابية على الانسان والبيئه معا.[١٩]

ب- التجفيف السياسي:اما الذي حصل من تجفيف في اهوار جنوب العراق خلال العقدين الماضيين يحمل اهداف سياسية اذ كانت منطقة الاهوار المحصورة بين نهري دجلة والفرات مهدا لحضارات تليدة وانظمة

بيئية فرية استمرت الاف السنين الى ان قامت الحكومة السابقة بتجفيف اجزاء شاسعة منها.[٢١]

ولقد كشف تقرير اصدره برنامج الامم المتحدة للبيئة عام ٢٠٠١م ان سبعة في المائه من مساحة الاهوار صالحة لاقامه البشر واشار التقرير الى عملية التدمير القسرية بانها من اسوء الكوارث البيئيه في التاريخ ويمكن ان تضاهي تجفيف بحر الاورال وازالة غابات الامزون المطرية[٢٢] يبين لنا تقرير الامم المتحدة ان عملية التجفيف القسري لمنطقة الاهوار استهدفت الانسان والبيئة معا لخدمة اهداف سياسية وان اصلاح هذا التخريب البيئي يتطلب جهوا جبارة لاعادة الحياة الى طبيعتها السابقة اذ يقول كلاوسو تويفر المدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة ان الامر يتطلب بذل جهود ضخمة واعداد مشروع لاحياء مساحة شاسعة من الاهوار الا انه مشروعا صعبا ومعقدا واضاف لسنا على قدر من التفاؤل وندرك ان هذا المشروع لم يتم بين عشية وضحاها[٢٢] ومن هنا تاتي اهمية القيام بدراسات هندسية واجتماعية وسياسية واقتصادية لحاضر هذه المنطقة وفهم متطلبات اعادة البناء والحياة سواء مايتعلق بالبيئة واعادة الانسان المهاجر اليها واقناعه باهمية تطوير هذه المنطقة وتوفر السكن الملائم والحاجات الاساسية من تعليم وصحة وتاهيل واصلاح مايمكن اصلاحه من تبعيات ترتيب على عملية التجفيف القسرية كما يجب النظر بشكل علمي ومدروس الى ما اصاب الثروة الحيوانية في هذه المنطقة من اضرار اذ يؤكد العلماء في هذا الصدد: ان تدفق الرواسب الصلبة من الاهوار الى مياه الخليج ادى الى ازدهار الثروة السمكية وادت عملية التدهور البيئي في منطقة الاهوار الى اضرار بنحو ٤٠ نوعا من الطيور والاسماك كما ادت الى انقراض سبعة منها على الاقل.[٢٣]

رابعا: اهم الاستنتاجات الاهوار والمستقبل

يتناول هذا المحور اهم الاستنتاجات والمقترحات مع نظرة الى المستقبل في منطقة الاهوار:

اهم الاستنتاجات:

١- كانت بيئة الاهوار عبر الاف السنين بيئة مميزة بطابعها الثقافي ونشاطها الاقتصادي والبيئي.
٢- ان منطقة الاهوار تنقسم الى قسمين اهوار دائمة واخرى مؤقته او موسمية فالاهوار الدائمة هي تلك المناطق المنخفضة التي تستقر فيها المياه طيلة ايام السنة اما المؤقته فهي تتكون من المياه الزائدة والنابعة من الاهوار العميقة الدائمة.
٣- تعاني منطقة الاهوار من سوء طرق المواصلات لذا بقيت تعيش حياة شبه منعزلة لاتتصل بالمناطق الحضرية المجاورة الا قليلا.
٤- كانت في منطقة الاهوار ولاتزال نضم اجتماعية تقوم على اساس قبلي وعشائري اذ كانت فئه الشيوخ لها اليد الطولى في التحكم بالسكان ثم السادة المدعومين باحترام الناس او تقدير الشيوخ وهناك فئه لاتحظى باحترام السكان مثل الصابئه والعبيد وهما فئتان محترقتان في ذلك المجتمع المحلي الا ان هذا قد تغير كثيرا او قليلا في الوقت الحاضر بسبب التعليم وتنور الانسان واتصاله بالمدينة.
٥- لاتزال المراة لاتحظى باهمية المجتمع الريفي في منطقة الاهوار وهكذا جعل منها النظام القبلي درجة ثانية واستبعدت عن القرار الاسري.
٦- لايزال النمط العائلي الكبير صفه مميزة وقد طرا بعض التغيير كظهور العائلة الممتدة المعدلة التي لايزال ابنائها يرتبطون عاطفيا واقتصاديا مع العائلة الاصلية.
٧- سكان هذه المنطقة هم صيادي اسماك وبعضهم يمارس الزراعة او صيد الطيور وممارسة بعض الصناعات المحلية كصناعة الحصر وكبس التمور وغيرها.

الاهوار والمستقبل:

اتضح ان منطقة الاهوار في جنوب العراق تشكل بيئة اجتماعية شبه منعزلة بسبب وعورة المنطقة وانغمارها بالمياه حيث تكون المنازل مقامه

على تلك المياه وهي تفتقر الى ابسط مقومات السكن الانساني فضلا عن مستوى معيشة هذا المجتمع واهمية العادات والتقاليد كمحددات مهمة في العلاقات الاجتماعية والسلم الاجتماعي وماطرا على ذلك من تغير سواء فيما يتعلق بمكانه الشيوخ او مراكز بعض الفئات في الترتيب الاجتماعي القائم ورغم ان العشيرة والفخذ والحمولة بقيت اشكال مهمة في رسم شبكة العلاقات القرابية في ذلك المجتمع الا ان هناك تغيرات قد حصلت في بنيه العائلة وفي ادوار افرادها رجالا ونساءا ولاسيما لدى الجيل الحديث الذي نال قسطا من التعليم كما تبلت النظرة اتجاه ماكان يعتقد من معتقدات او افكار او نظرة اتجاه فئة الصابئه او العبيد كما ان هذه المنطقة كانت تعاني من التدهور البيئي خلال العقدين الاخيرين، لذا فان الامر يحتاج الى اعادة منظمة لحياة هذه المنطقة بالاعتماد على التخطيط العلمي الدقيق كما يجب الاهتمام بالثروة السمكية او الطيور وينبغي الحفاظ على انواعها.

ومن خلال البحث يمكن استقراء مستقبل هذه المنطقة فيما اذا توفرت الدراسات العلمية سواء الهندسية او الاجتماعية واذا ماحسن التخطيط وظهرت الجدية فان لهذه المنطقة مستقبلا زاهرا سواء لسكان المحليين او للعراق فهذه المنطقة تاريخها لا خصوصيتها الثقافية والبيئة فاذا تمكن الانسان من تطوير هذه البيئة بالاستعانه بالخبرات العالمية وتحسين وضع السكان فان لهذه المنطقة سيكون دورها الاقتصاي والسياحي ولا ينفصل هذا عن اهمية تنمية الانسان اجتماعيا وتكنولوجيا لهذا فان المستقبل مرهون بايجاد منهجية علمية لاجراء التغير اللازم في هذه المنطقة والاهتمام بها بعد ماكانت مهملة في ظل الحكومات المتعاقبة على العراق.

المقترحات:

١- ضرورة القيام بدراسات اجتماعية وهندسية واقتصادية وغيرها لوضع تصور عام عن حقيقة المنطقة في الوقت الحاضر..

٢- وضع خطة علمية حقيقية للنهوض بهذه المنطقة واعادة الحياة الطبيعية بما يخدم الانسان والبيئة والثروة الحيوانية والاهتمام بالطيور وانواعها في المنطقة..
٣- ضرورة الاهتمام بطرق المواصلات والاستعانه بالخبرات الدولية في هذا السياق.
٤- ضرورة الاهتمام بالانسان في مجال السكن والصحة والتعليم والخدمات الضرورية من كهرباء وماء صالح للشرب وهواتف وادماج ذلك المجتمع بثقافة متغيرة في مجتمعنا العراقي العام.
٥- ضرورة تاسيس مركز بحوث ودراسات يختص بهذه المنطقة.

المصادر

١- احمد سوسه:اطلس العراق الحديث، مطبعة ميرية المساحة العامة، بغداد،١٩٥٣

٢- انعام داود حنا: التخطيط للتنمية السياحية، مع التطبيق على اهوار العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، مقمة الى كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد،١٩٨٠.

٣- دلفر تسيكر: المعان وسكان اهوار: ترجمة باقر الدجيلي،مطبعة الرابطة، بغداد،١٩٥٦

٤- شبكة النبا المعلوماتية،عبر الانترنيت،٦- ٥ ٢٠٠٣.

٥- علي محمد المياح:التصانيف المناخية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد السادس، بغداد،١٩٧٠

٦- لؤي الفارس، الاهوار مرة اخرى، مقال منشور في جريدة الصباح،العدد اب في٣/اب/٢٠٠٣،بغداد.

٧- مصطفى شاكر سليم، الجبايش،الجزء الثاني،مطبعة الرابطة،بغداد،١٩٥٧

٨- مصطفى شاكر سليم: محاضرات في الانثروبولوجي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٩.

الهوامش

(١) علي محمد المياح: التصانيف المناخية-مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد السادس، بغداد، ١٩٧٠، ص٤٠- ٥٦.
(٢) انعام داود حنا: التخطيط لتنمية السياحية، مع التطبيق على اهوار العراق، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد بجامعة بغداد، اذار، ١٩٨٠، ص٢٥٣(رسالة غير منشورة).
(٣) د. احمد سوسه: اطلس العراق الحديث: مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٩٥٣، ص١٣.
(٤) ولفرتسيكر: المعان وسكان الاهوار: ترجمة باقر الدجيلي،مطبعة الرابطة، بغداد،١٩٥٦ ص٧.
(٥) انعام داود حنا: المصدر السابق، ص٢٥٦-٢٥٧.
(٦) انعام داود حنا: المصدر السابق، ص٢٥٨.
(٧) مصطفى شاكر سليم: الجبايش الجزء الثاني، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٧، ص٢٩٤
(٨) المصدر نفسه ،ص٣٠٨- ٣٠٩
(٩) المصر نفسه، ص٣٠٩- ٣١١.
(١٠) مصطفى شاكر سالم، الجبايش، الجزء الثاني، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار، مصدر سابق، ص٢٨٧.
(١١) المصدر نفسه، ص٢٨٩
(١٢) المصدر نفسه، ص٣٠٨
(١٣) السوابيط - السوباط طولها حولي بين ١٩/١١ قدم وعرضها ١١-١٤ قدم وارتفاعها من ٦-٩قدم.
(١٤) انعام داود حنا، مصدر سابق، ٣٠٠-٣٠١.
(١٥) مصطفى شاكر سليم-محضارات في الانثروبولوجي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٩، ص٩-١١
(١٦) الخمس بموجب تعاليم المذهب الشيعي للسادة حق في خمس ثروة المجتمع كله.
(١٧) مصطفى شاكر سليم: الجبايش ،الجزء الثاني، مصدر سابق،ص٤٥٢-٤٥٣
(١٨) لؤي الفارس: الاهوار مرة اخرى مقال منشور في جريدة الصباح ،مصدر سابق ص٣.
(١٩) لؤي الفارس، الاهوار مرة اخرى، جريدة الصباح، العدد٥١، في٣٠اب، ٢٠٠٣، ص٣.
(٢٠) شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠٠٣/٥/٦٠،ص١.
(٢١) المصدر نفسه، ص٢.
(٢٢) الصدر نفسه ،ص٢.
(٢٣) المصدر نفسه ،ص٣.